طبع فى المطبعة العصرية ـ الموصل

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
ܕܟܢܫܐ ܡܠܦܢܐ ܐܒܪܗܡ ܢܘܪܐ ܐܘܪܗܝܐ

Ex Libris
Beth Mardutho Library
The Malphono Abrohom Nuro Collection

صورة الغلاف : كنيسة مار زينا فى قرهقوش بعـد ترميمها
في سـنة ١٩٦٥

O_1982

سيرة

الشهيد مار زينا

بقلم

سهيل قاشا

« باذن الرؤساء »

طبع في المطبعة العصرية - الموصل

شكر

لا يسعني وانا انشر هـذه السطور الا الاشادة بفضل الاب حنا فيي الدومنيكي (O. P.) , J. M. Fiey لما ابداه لنا من ملاحظات حـول القصة وتاريخها .

توطئة

اذا ما اقتنعنا بالتاريخ واكتفينا بما اورده من اقاويل ، قلنا ان مار زينا هو شهيد نال اكليل المجد في بلاد آثور قرب بلدة حمام العليل . والتاريخ قلما يكذب انما في بعض الأحيان يقصر أو يبالغ .

ان الغيرة المسيحية . هي التي دفعتني على اثر تجديد الكنيسة المشيدة على اسم هذا الشهيد القديس مار زينا في قرهقوش ، للحفاظ على التراث السالف المجيد ، الى كتابة نبذة تاريخية عن هذا الشهيد العظيم مار زينا واخته القديسة سارة . وعن ديريهما والاعاجيب التي اجترحها الرب على ايديهما . والمجد لله دائماً .

الموصل

١٥ / ٣ / ١٩٦٥

سهيل قاشا

تمهيد

هناك ترجمة للقديس مار زينا في مخطوطة يحتفظ بها الشماس شابا اسحق حنونا من عائلة سبتي كلو الذي توفي بين سنة ١٩١٤ و سنة ١٩١٥. من سكان قرية برطلي .

والمخطوطة طولها ٥ / ٢٢ سنتمتر وعرضها ٥ / ١٦ سنتمتر وهي تشمل على اربع وعشرين كراسة وكل كراسة تتكون من ثماني اوراق . والاوراق الاربع الاخيرة مفقودة ومنها السيقوما (الذيل او التاريخ) . ولا يمكن تعيين عصر المخطوطة وسنتها بالضبط . إلا انه في نهاية هذه القصة اي قصة مار زينا تقرأ العبارة التالية : « تمت هذه القصة في يوم نصف الصوم الكبير في الثلاثين من شهر آذار المبارك » . ومن الارجح ان يعود تاريخ المخطوطة هذه الى القرن التاسع عشر نظراً الى نوعية اوراقها ومداد خطها .

والقصة تقع من ١٢٣ الى ظهر ١٣٨ من المخطوطة .

اما لغتها فركيكة ، واسلوبها معقد ، مكتوبة بالحرف السرياني واللفظ العربي (الكرشوني) (١) .

ونحن اذ نقلناها على علاتها اللغوية والتعبيرية بغية حفظها للتاريخ والزمن ، ننشرها بعد اجراء بعض التنقيح عليها لغوياً وتعبيرياً مع المحافظة على متنها القصصي ومجرى حوادثها التاريخي .

(١) — وهناك مخطوطة اخرى في المكتبة البطريركية للسريان الارثدكس على ما ذكر غبطة البطريرك افرام برصوم لم نرها نحن راجع اللؤلؤ المنثور ص ١٨٨ .

افتتاحية القصة

واليك ايها القارىء الكريم القصة كما جاءت في المخطوطة ومنقحة بعض الشيء :

« نكتب قصة الاب القديس الشهير المغبوط النفيس مار زينا ، والقديسة الفاضلة الزاهدة العابدة سارة اخته ، اللذين انتقلا من العالم الفاني وتكللا بأكاليل المجد وورثا الملكوت السماوي . وكان انتقالهما في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني . صلواتهما ، وبركاتهما تعم جميع بني المعموذية .

نورد لك هنا قصة مار زينا الرسول الغيور والمبشر والمظهر آلام السيد المسيح في شخصه ، الذي احتقر هذا العالم الزائل الفاني ، وبغض مجده ، واهمل غناه ، واتم حبه ليسوع واحتمل الآلام والشدائد ، وسهر بالعمل المتواصل في النسك والتزهد والعبادة .

ونورد ايضاً ما جرى له مع ملوك زمانه الذين كانوا يعبدون الاصنام ويسجدون للاوثان . والذين كانوا قد ابتلوا بوجود الثعبان المخيف الذي كان قد قطع على الناس الدرب الموصل بين آثور ونينوى على شاطىء دجلة ، فقضى عليه مار زينا وبشر الناس وعمذهم وانقذهم من الجهالة الكبرى الى نور السماء والنعيم .

القصــة

ان مار زينا اصلاً من بلد آثور من (حد قاباض) التي هي بقازيق (بيث وازيق) من قرية اسمها تل السلطان .

كان أبوه وثنياً يعبد الأصنام ويسجد للأوثان . أمـا مار زينا فمنذ صغره دعته العنـاية الالهية لان يؤمن من كل قلبه بالله الخالق . فكان يقضي نهاره صائماً وليله ســاهراً مصلياً الى الرب المبدع الأرض والسماء . وكم كان يرغب في ان يخلصه من هذا العالم الزائل الزائف .

وكان لمار زينا أخت اسمها سارة .

وفي يوم من الأيام قالت سارة لأخيها مـار زينا : قد سمعت يا أخي أنك عازم على المضي والانتقـال من هـذا البلد الجاحد الى بلد آخر كريستيني (مسيحي) لأنك تؤمن بالله وبالمسيح المخلص . وأنت حقاً مسيحي . ولكن أطلب منك يـا أخي وأرغب اليك أن لا تدعني وحدي هاهنا في هذا البلد الجاحـد . ألا اتق الله الذي أقسمت على محبته وهو السيد المسيح الذي أنت تؤمن بـه وتعبده حق العبـادة وأصحبني معك أينما مضيت وذهبت .

فأجابها مار زينا : اسمعيني يا أختي ، ان كنت تقرين بالسيد المسـيح المخلص وتؤمنين به وتصطبغين باسمه فاني أصحبك معي . .

فاجابته سارة : إعلم يا أخي اني أقر بالمسيح الهاً وأعبده من قبلما أنت أقررت بـه . واني منذ صغري عرفته وأحببته وسجدت له . وها اني لرحمته منتظرة . فارجو اليك ان لا تتركني بين هؤلاء الكفرة الذين لم يعرفوا بعد يسوع المسيح المخلص الاله الضابط الكل المبدع كل شيء من العدم .

فاطمأن مار زينا عندئذ ووعد أخته سارة أن يصحبها معه ما دام كلاهما مؤمنين .

ومن تلك الساعة قاما وانطلقا الى نواحي بلد آثور التي بالقرب من نينوى . وفي الغد بلغا الى المكان الذي كان فيه الثعبان المخيف ، الذي كان يخرج الى كل من يعبر من هناك ويأكله . ولذلك لم يعد الناس يعبرون من ذلك الدرب لخوفهم من الثعبان .

لكن مار زينا عندما بلغ واخته الى الثعبان خرج الثعبان كعادته ، فصلى مار زينا الى الرب وتضرع ، فاستجاب الرب له ومنحه الغلبة مثلما منحها لدانيال النبي في بئر الاسود . فرفع مار زينا يده الى السماء ولعن الثعبان ، ومع لعنته تحول الثعبان حجراً اصم بلا حس ولا حركة .

شاع خبر هذه المعجزة في كل مكان وقصد اناس كثيرون المكان ليشاهدوا الثعبان المصروع الذي غلبه مار زينا وقاسوه فوجدوا أن طوله أربعون ذراعاً وعرضه خمسة أذرع وغلظ رأسه ذراع واحد ، وعينيه كأنهما سلتان كل واحدة ذراع واحد .

فسبح الكل الرب الذي منح قديسه هذا النصر .

أما مار زينا وسارة فقصدا اسقف تلك الكورة واعتمدا منه واقتبلا المسيح .

وبعد ايام رسم اسقف تلك الكورة مار زينا اسقفاً لذلك البلد في تكريت مدينة كرسي الجثلقة . فبدأ يعلم ويبشر بالمسيح ويعمذ في ذلك البلد كله . وبنى البيع والأديرة ، وشاع خبره في جميع بلاد الشرق ونواحيه .

وأما سارة أخته فانها تركت مار زينا وعبرت الى بين النهرين بالقرب من آثور فوجدت هناك تلاً عظيماً فحسن المكان في عينيها وبنت لها فيه معبداً داخل مغارة وجعلته حبساً لها . واقامت في حبسها هذا ما يقارب الاربعين سنة ولم تتعده ولم تفارقه.

وكان بالقرب من موضع سكناها نهر ماء يجري لم تشاهده طوال مدة اقامتها هناك وذلك لتأملها العميق بالله الخالق اذ لم تغادر معبدها . انما غاية همها كانت الصوم والصلاة والعمل بوصايا الرب رغبة في رحمته والنجاة من عقابه . وقد شهد لها في هذه الفضائل — الصبر والاحتمال والتجلد امام الشيطان — مار اسحق المصري الملقب — اسحق القلالي — .

وكان غذاء سارة من النباتات والحشائش التي كانت تنبت امام قلايتها . ومن الطعام الذي كان يأتيها به الملائكة كل يوم .

شاع خبر سارة في تلك النواحي فبدأ المرضى يقصدونها لنيل الشفاء بتضرعها الى الله لكي يظهر قوته للبرايا . وقد أبرأ الله خلقاً كثيراً .

وفي زمان شيخوختها آتى اليها أخوها مار زينا وباركها وصلى معها في معبدها وشرع يخاطبها قائلاً : طوبى لك ياسارة على ما أنت فيه من النعمة . وهنيئاً لك بهذا النهر الكبير الذي بقربك وتترددين اليه .

فأجابت سارة : إنا نشكر الله الذي هدانا اليه اذ كنا كفاراً . وثق أن لي هنا مدة أربعين سنة قاطنة في هذه المغارة التي ما فارقتها أبداً . والنهر الذي أنت تهنئني به لم اشاهده ولم اشعر به . فانا بالله قلبي متعلق .

فأجابها مار زينا : طوباك يا فاضلة . ان الله ، له المجد ، قد جعلك أهلاً له أنت التربة الصالحة .

ومن ثم عادا الى الصلاة والتأمل حتى منتصف الليل . وهنا شعرت سارة بمرض ثقيل ووجع شديد يدب في جسمها . فأراد مار زينا ان يحملها الى مخدعها فلم يستطع . فقالت له سارة : ألا تعلم يا أخي أن القديسين والشهداء ، حيثما يقتلون أو يموتون فهناك يدفنون ؟

أجابها مار زينا : تلك حقيقة يا أختاه . والان أينما تريدين أن ترقدي ، هناك أجعل لك مرقداً .

قالت سارة : أطلب منك يا أخي وأرغب اليك في أن تبني لي بعد انتقالي ، على هذا التل ديراً .

فأجابها مار زينا : ها أنا أتضرع الى الله أن يطيل حياتك ثلاث سنين حتى أبني لك الدير الذي أردته على اسمك .

وبمشيئة الله شفيت سارة من مرضها وتركها مار زينا ومضى الى رعيته .

كان في تلك الأيام ملك في آثور مريضاً بداء (زمن) اي مرض شلل في يديه ورجليه . فما ان بلغ مسمعه الأيات الباهرة والمعجزات العظيمة التي يجترحها الله على يد امته سارة ، حتى أسرع إليها طالباً الشفاء من دائه . ولما امتثل بين يديها ، طلب

منها الدواء الشافي من سقمه . فاشارت عليه سارة قائلة : هنا عين ماء . امضي واسبح بمائها وفي الحال تبرأ . فمضى الملك الى تلك العين وسبح فيها وللحال فارقه الداء وشفي من مرضه ، ونالت أعضاؤه الصحة الكاملة الشاملة جسدياً وروحياً . فتعجب كل من كان معه من أهله وجنده . وآمن الملك وكل من كان معه بالله وبالمسيح . وشاع خبر المعجزة في الكورة كلها . وقدم أناس كثيرون لزيارة سارة والتبرك منها . وسبحوا الله وشكروه على نعمه ورحماته .

ثم أن الملك قال للقديسة سارة : يا أمة الرب ماذا تريدين ان أهب لك . فاجابته سارة : إني لا أريد شيئاً البتة لأنني ، كما تراني ، قد هجرت مباهج العالم واباطيله . وقد كنت سابقاً ابنة ملك مثلك . لكني حباً بالله تركت امارتي لأعبده وحده دون غيره ؛ سوى اني أرغب اليك ان تبني لي ها هنا ديراً . فأجاب الملك : ها أنذا لأمرك منفذ .

عينت سارة مكان الدير وأعطت التعليمات لكيفية البناء راسمة جميع مراتبه وهيكله ومذبحه وقلاياته وسوره ، على رتبة البيعة المسيحية .

وبعدئذ امر الملك العمال والبنائين فبنوا الدير كما ارادته القديسة ورسمته . فكان ديراً كاملاً واسعاً لم يكن في الشرق مثله ولا احسن منه مقاماً ، ولا اخصب منه موقعاً . والقديسة سارة شاهدت ديرها بعينيها وحسن لها وفرحت به جداً . واجتمع فيه رهبان كثيرون واقاموا فيه . وكانوا يحرثون الأراضي التي حول الدير وقربه وكانت لهم غلات يعيشون عليها ويوزعون الفائض منها على الغرباء والفقراء .

طعنت القديسة سارة في السن وحان وقت رقادها الأخير . فاتى اليها أخوها

مار زينا . ففرحت بلقائه وصلت معه كثيراً حتى أتت ساعة مغادرتها العالم الفاني الى العالم السماوي فرقدت بالرب ورائحة القداسة تفوح من جسدها الطاهر . بعد ان سبحت روحها الرب في مغارتها مدة ثلاث واربعين سنة متوالية في الصوم والصلاة والتأمل . وكان انتقالها من الدنيا الى الآخرة في اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني في نصف ليلة الأحد .

شاع خبر انتقالها في البلد فاجتمع اليها خلق كثير ليتبركوا منها ، وحضر الكهنة والرهبان مع أخيها مار زينا وصلوا عليها ثلاثة أيام ثم واروا جسدها اكرم مواراة . ووضعها مار زينا في هيكل الدير .

وأقام مار زينا في دير سارة مدة اربعين يوماً ثم عاد الى ديره وعبر في طريقه الى العين التي عندها قتل الثعبان فركع وصلى عندها . فاجاب الرب لصلاته فاخرج له قيراً وزئبقاً كثيراً من تلك العين . فاصبح الزئبق والقير مادة التجارة يعتاش منها الرهبان المقيمون في الدير القريب منها .

ثم ان مار زينا كان في كل سنة يقصد دير سارة أخته متفقداً الرهبان المقيمين به ثم يعود الى رعيته . وكان في ذهابه وإيابه يبشر في القرى التي يمر بها . فتلمذ بذلك خلقاً كثيراً وعمذهم باسم الآب والابن والروح القدس كما امر السيد المسيح .

ولقد بنى مار زينا في أبرشيته هذه ثلاثة وسبعين مذبحاً ورسم فيها كهنة وملافنة لخدمة الرعية . فاشتهر امره في كل المشرق .

طعن الأسقف زينا في السن وقد عمر طويلاً ولم يفتر عن الصوم والصلاة مبشراً ومعمذاً . وكانت قصوى غايته نيل اكليل الشهادة . وكان له ما أراد اذ إستشهد كما سنرى .

استشهاد القديس مار زينا

في بعض الأيام قصد مار زينا دير أخته القديسة سـارة ومعه جماعـة من الرهبان . ولما بلغ العين التي قتل الثعبان أراد ان يستريح هناك ومعه تلاميذه . فاتفق ان مر من هناك ملك وثني هو وجنده كانوا قد خرجوا للصيد . فلما شـاهد الملك مار زينا أحضره بين يديه وسأله من أين أتيت يا رجل والى أين تمضي ومن تعبد ولمن تسجد ومن هو إلاهك .

فأجاب مار زينا بكل شجاعة : أنا أعبد السيد المخلص يسوع المسيح الاله المصلوب وله اسجد وإياه أعبد ومن أجل اسمه أموت .

فقال الملك بغضب شديد : أيها الرجل الضال ، أطعني وإهتد واسجد لآلهتي واعبد الاصنام وقرب لها القرابين وكن لها من العابدين الطائعين ولا تكن من المتمردين العاصين ، لامنحك الذهب الطائل والفضة الوافرة والدرجة العالية والرتبة السامية .

فاجاب القديس مار زينا : حاشا ان اترك الله الحي الازلي الدائم الابدي الذي خلق السموات والارض وكون الكل بلا عجز وهيهات ان اسجد لآلهتك الكاذبة الفانية . لا نفس لها ولا حركة ، ولا قدرة ولا بركة . لكنها صماء خرساء عمياء . لا تسير ولا تبطي ، لا تأخذ ولا تعطي ، لا تفيد ولا تمنح ، ولا تسامح . انها من صنع النجار لا قيمة لها ولا مقدار ، وان عبادتها افك وعار ، وعقاب اثمها العذاب والنار . اسمع ايها الملك ان للاصنام افواهاً ولا تنطق ، وآذاناً ولا تسمع ، ويدين ولا تلمس ، ورجلين ولا تمشي ، ولا قدرة لها ولا قوة . لا تستطيع خلاص عابديها ولا عناية لها .

فلما سمع الملك ذلك الكلام من مار زينا ثار غضبه وأمر جنده ان يقيدوه بالسلاسل الحديدية الثقيلة وعاقبه ثـلاثة أيام جالداً إياه ومانعاً عنه الطعام والشراب وبذلك ذاق شـديد العذاب كيما يجحد ايمانه ويكفر بالرب الذي يعبده خالق السماوات والأرض وما بها وما عليها . وان يجحد طاعته للمسيح مخلصه . لكن القديس ما ركن الى أمر الملك ولا إمتثل لأقوالـه ، ولا أغرته مواعيده وتهديداته ، ولا أرهبه عقابه وتعذيبه . بل رذل كل شيء راغباً في اكليل السماء فصمد على إيمانه صابراً .

فلما عاين الملك ذلك وانـه لم يستطع على الميل بالقديس الى عبادة الأوثان والكفر بالرب الحي . عندئذ أمر الملك بقطع رأس مار زينا بالسيف .

فلما سمع مار زينا ذلك إبتهج إبتهاجاً عظيماً وفرح فرحاً عميقاً إذ سينال الشهادة كما اراد وطلب من الله .

عندئذ طلب مار زينا من الملك ان يمهل عليه ليصلي امام الله قبل اخذ رأسه فمنحه الملك ما اختار .

فصعد مار زينا الى رأس تل عالي كان قريباً من هناك وركع وصلى من كل قلبه طالباً النعمة والبركة لجميع الخلائق ولديره ولمدينته ولأبرشيته ولجميع ابنـاء الأديرة والبيع كيما يرفع عنهم الاذى والاضطهاد والبلاء . ويحل على الأرض الامن والسلام طول الزمان . واكثر الصلاة وقال فيما قال :

« يا ربي وإلهي الجبار المتباهي القابض على كل شيء إنني أموت من أجل اسمك العالي ذي القدرة والجلال . وقـد أسلمت جسدي الترابي الى العذاب وارغب إليك سائلاً ومتوسلاً انت الجواد الكريم في ان تظهر لهذا الملك الضال معجزاتك

وآياتك ليؤمن بك وبالمسيح ابنك الوحيد ويصير مؤمناً عابداً ، وان يسبح اسمك مع عابديك ويسجد مع الساجدين لك الى ابد الابدين آمين » .

وعندما اكمل القديس صلاته امر الملك بانزال مار زينا من ذلك التل فانزلوه واحضروه بين يديه وبالقرب من العين التي عندها قتل الثعبان . فركع مار زينا ووجهه الى القبلة الشرقية ورفع يديه نحو السماء . ثم رسم آية الصليب على جهات المعمورة الأربع ثم مد رأسه تحت السيف وهو يقول :

« إلهي ومولاي وسيد غناي وسند مناي ومرد سؤالي وكل قصدي بيديك استودع روحي ، اقبلها بسلام » .

ثم ان الجلاد اخذ رأس القديس مار زينا وسال دمه فنبع في المكان الذي قتل فيه عين عظيمة خرج منها ينبوع ماء ابيض ومعه زئبق نادر نقي احسن من الزئبق الأول ليس مثله في البلاد زئبق بنقائه وبياضه . وتعجب كل من شاهد تلك العين .

وكان يوم تكليل القديس باكليل الشهادة في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني يوم الأحد وهو يوم تذكار وفاة اخته سارة ولكن بعد سنين طويلة .

وأما ما كان من أمر الملك فانه بعد قتل القديس مار زينا أصابه داء البرص مع الم شديد ، فتراءى له القديس في الحلم وقال له : قم وانطلق أيها الملك الى العين التي أخذت رأسي بقربها واسبح في مائها فتبرأ في الحال .

فامر الملك باخذه الى تلك العين وسبح فيها كما أمره القديس . فزال في الحال داؤه والمه فآمن بالسيد المسيح المخلص واعتمذ هو واهل بيته وجميع جنده وتناولوا جسد الرب .

ثم ان الملك وارى جسد القديس بكرامة عظيمة في مكان يسمى « الهوة العميقة » حيث وضع الجسد على وجه الماء . فنزل على جسد القديس النور الالهي كبرق عظيم ليلاً ونهاراً وتعجب الملك وكل من رآه . وامر برفع الجسد من الماء ووضعوه في تابوت من الخشب النادر وكفنوه بأكفان ملكية . ثم ان الملك صعد بجسد القديس الى رأس التل القريب من هناك ودفنه . وبنى له ديراً فيه جرن عماذ وسبعة مذابح واعتمذ الملك فيه هو وخمسة آلاف وتسعمائة نفس في يوم عماذ السيد المسيح . وآمن الملك ايماناً صادقاً وصرخ وقال : « أشكرك يا إله الحق لأنك اريتني طريق الحياة ، وارشدتني الى منهج النجاة واهديتني الصراط المستقيم ومنحتني ميراث النعيم بيد قديسك الفاضل مار زينا . فارغب اليك يا إلهي في ان ترحمني وتشفق علي وتغفر لي جميع خطاياي التي صنعتها قدامك يارب » .

فلما سمع الناس ذلك الكلام من الملك ايقنوا انه قد آمن بالله الازلي الحي خالق السماء والأرض من كل قلبه فهتفوا كلهم بفم واحد قائلين : نؤمن ونقر بالله الحي الازلي الذي آمنت به ياملكنا .

وبعد ذلك عاد الملك الى مدينته آثور وامر بكسر جميع الأصنام التي كانت من قبل آلهة . وهدم الأماكن الموضوعة فيها وابطل عبادتها . وأمر الملك بأن يقتل كل من لا يؤمن بالسيد المخلص يسوع المسيح .

أما ما كان من شأن الدير الذي بناه الملك عند قبر القديس مار زينا فقد عظم شأنه واجتمع فيه عدد كبير من الرهبان وغص بهم .

وكان في يوم من الأيام ان قصد الدير ثلاثة اساقفة وصلوا فيه وتبركوا من

القديس مار زينا ، وقال أحدهم للآخر : هلموا نأخذ ميناثاً (ذخيرة) من جسد القديس ونبني عليه ديراً في بلادنا . فدخلوا الى الضريح خفية واخذوا من جسد القديس جزءاً . ولما هموا الخروج من الدير عميت اعينهم ولم يعودوا يشاهدون باب الدير . فبدأوا يدورون داخل الدير من كل جهاته سبع مرات ولم يتمكنوا من الخروج .

حينئذ علموا ما قد فعلوا وندموا آسفين على ما بدر منهم . فصاموا ثلاثة ايام طالبين من الرب المغفرة ورفع العار عنهم ، وفتح اعينهم ، ليخرجوا من الدير . فاستجاب الله دعوتهم ومنحهم البصر والنظر .

عندئذ خرجوا من الدير ومعهم الميناثا (الذخيرة) . فلما ساروا عن الدير فرسخاً واحداً تراءى لهم القديس مار زينا بهيئة اسقف وسلم عليهم وقال لهم : اخبروني يا إخوتي لماذا اخفيتم جزءاً من جسدي . اعلموا انه بعد عشرة أيام اكون واياكم في حفرة واحدة (أعني في قبر واحد) .

فعاد الاساقفة الثلاثة الى الدير . وبعد عشرة ايام من قول القديس ، ماتوا ودفنهم الرهبان في قبر القديس .

وبسبب هذه المعجزة عظم شأن الدير جداً . واجتمع فيه مائة وسبعون راهباً . وصار لهم دواب وماشية ، وكانوا يأخذون من ذلك الزئبق والقير الى جميع البلاد يبيعون ويبتاعون . ومن ثمن ذلك الزئبق والقير كان الرهبان ينفقون على مصالح الدير .

وكان للدير جمال لحمل التجارة ومن هذه الجمال جمل يدعى (أديزا) أي ابيض واسود . وفي ذات يوم حملوا من الزئبق والقير قاصدين بلاد الشام . وفيما هم

سائرون مع الكروان سقط الجمل أديزا في مصعد الجبل وانكسرت ساقه اليمنى . وكان سقوط الجمل في يوم صعود السيد المسيح الى السماء في وقت القداس . وكان الراهب الذي يقدس عندئذ يقال له موسى العربي ، وهو رجل شيخ عابد . والرهبان حوله قائمون في خدمة القداس فكشف الله لذلك الراهب — موسى العربي — وأراه سقطة ذلك الجمل . وبينما هو يقدس نطق قائلاً : قم يا جمل أديزا . فلما سمع الرهبان ذلك ضجوا وقالوا لا شك ان هذا الرجل قد اصاب عقله مس من العته والجنون ، وقد شاخ وصار ابن مائة سنة ، ولم يعد يعقل ما يفعل وما يقول . ولذا فقد طردوه من الدير .

اما الراهب المطرود موسى العربي فمضى الى جبل قريب من الدير وانعكف على الصلاة وحيداً فريداً .

وبعد ايام عاد اولئك الرهبان من التجارة واخبروا رهبان الدير بما حدث لهم : كيف سقط الجمل اديزا وكيف انكسرت ساقه اليمنى وكيف نهض الجمل شافياً . واخبروهم بان ذلك حدث في يوم صعود السيد المسيح الى السماء والوقت وقت اقامة القداس .

فهتف الرهبان بصوت واحد : بالحقيقة ان الشيخ البار موسى نظر بالروح ورأى من اقصى البلاد الجمل اديزا يسقط فقال قم يا ايها الجمل اديزا . ونحن من غفلتنا وضلالتنا وقساوة قلوبنا وقلة ايماننا أسأنا اليه وطردناه من الدير . فندموا على ما فعلوه مع موسى الراهب ، فأتوا اليه معترفين بخطأهم قائلين له : ايها الشيخ الجليل ايدك الله وازادك بالنعمة اذ كشف لك ونظرت بعين الروح ورأيت من بعد بمقلة

الهدى الجمل اديزا وقد سقط وانكسرت رجله فنطقت : قم يا جمل باذن الله وقوتـه . ونحن من جهلنا وقلة ايماننا اخطأنا بحقك واسأنا اليك واخرجناك من الدير . فاغفر لنا ذنبنا . ونطلب اليك انتعـــود الى الدير وتقيم بيننا وتصلي معنا فنتبارك بك وتعظ علينا وتعلمنا يا ابانا الجليل .

فأجابهم الراهب موسى: انني لا اعود الى الدير الذي فيه انتم تقيمون لانخرابه قريب . لكن ابنوا لي ها هنا ديراً صغيراً . فبنوا كما أمرهم ،وأقام به عابداً زاهداً .

واما ما كان من الدير الذي تنبأ عنه مار موسى وهو الدير الكبير فقد تهدم بعد مدة اربعين سنة ، كما قال . وتفرقت جماعة الرهبان في البلاد . وكان قـد استولى على عين الزئبق والقير ملك تلك الكورة ، لكنه لما رأى ان الزئبق والقير قد انقطعا ندم ، فردها للدير ثانية فعاد القير بلا زئبق .

دير القديسة سارة

أما ما كان من خبر دير القديسة سارة فان أرباب البلدة التي كان دير سـارة فيها ، اتفقوا وتقدموا من سلطانهم قائلين له بأن يجعل جثمان ســارة في الرحى التي نصبت على النهر الذي بالقرب من ديرها في جهة الشرق المعروف باســم الخازر . لكيما يتمكن الناس من زيارتها يوماً واحداً من كل اسبوع . فحسن الامر في عين الملك وسر سروراً عظيماً . فدعا اليه الاساقفة والكهنة والرهبان واحضرهم بين يديه وعرفهم بما قد عزم على عمله فوافقوه على ذلك ، على ان يكون دخل يوم الزيارة وليلته للدير من الدقيق والفضة . (الدقيق للقداس والفضة يشترى بها الزيت للقناديل في

يوم الأحد وسائر أيام الاسبوع)

واتفق سكان تلك الكورة على ذلك وجعلوا من ذلك شبه فرض ونذر وحرموا كل من يسعى من بعدهم الى إبطال هذه المنحة والصنيعة وصلوا وباركوا على كل من يجري لديرها هذه القاعدة . ومنحوا دخل ذلك اليوم وليلته — يوم وضع الجثمان في مكانه الجديد — لغفران خطاياهم وجلب الرحمة عليهم وعلى امواتهم بجاه صلوات القديس زينا والقديسة سارة .

هذه هي قصة القديسين العظيمين وما جرى لهما وأنتم يا مؤمنون ، الله ينشر الرحمة عليكم ويسبغ نعمه عليكم ويؤلف بين قلوبكم على المحبة الالهية ويزيل من بينكم المكائد الشيطانية ، وينقذكم من نوائب الزمان وظروفه . وينجيكم من طوارق الأحداث ويصفح لكم سيئاتكم ويمحيها ، ويضاعف لكم حياتكم ويقيكم من كافة الشرور ويجعل لكم حظاً مع الخالدين في جنته ويؤهلنا وإياكم الى استماع ذلك الصوت القائل تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم بشفاعة ذات الشفاعات معدن النقاء والبركات أم النور الأعظم والدة الخلاص مريم العذراء أم الله ، وبصلاة القديس مار زينا وأخته سارة وسائر القديسين . وان يمنح العالم وشعبه وبيعته ورعيته امنه وسلامه .

تمت قصة القديسين الفاضلين مار زينا وسارة ،صلاتهما تعم كافة بني المعموذية .

رحم الله الكاتب ووالديه والقاريء والسامعين .

« تمت هذه القصة في يوم نصف الصوم الكبير في يوم الثلاثين من شهر آذار المبارك » . وهكذا تنتهي القصة كما جاءت في المخطوطة .

قصة مار زينـــا

على المحك التاريخي

بعد ان سردنا لك أيها القاريء الكريم قصة مار زينا واخته ســارة حسبما جاءت في مخطوطة الشماس شابا كلو البرطلي . نود ان نضعها على بساط البحث التاريخي لتبيان حقيقتها . ونسلط عليها عدسـة مجهر النقد التاريخي فنغربل بعض وقائعها وحوادثها . ونوضحها نقطة بعد اخرى .

من هو مار زينا ؟

هو راهب سرياني عاش في القرن السادس . ونادراً ما يأتي ذكره في قوائم القديسين وحتى في فهارست المخطوطات . فمثلاً من بين قوائم القديسين الثلاث عشرة التي نشرها « نو *NAU* » يذكر مار زينا بتاريخ الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني أي عيد تذكاره . وذكره التقويم العربي لأبرشية السريان الكاثوليك لسنة ١٨٧٧ : بالتاريخ نفسه اذ جاء فيه : « في آثور زينا واخته سارة كانا من سلالة ملوك آثور ثم اتوا الى المسيح واستنصروا لذلك قتلوا » .

ويذكر البطريرك العلامة افرام برصوم بأن في مكتبته البطريركية نصاً عربياً لترجمة زينا اسقف بارمان . وهو سرياني شهيد وهذا ما ورد بالنص « زينا اســقف

بارمان السرياني الشهيد واخته ســـارة سنة ٦٢٩ . نقحت قصته وزيد نصها العربي واراها وضعت بعد سنة الف » (١)

وقد اعطى البطريرك برصوم مختصر هذا النص في جواب على سؤال الأستاذ كوركيس عواد الذي نشره بدوره في كتاب الديارات للشابشتي وهذا نصه :

« دير القيارة : على شاطىء دجلة الغربي في الموضع المعروف اليوم بحمام العليل ، على مسافة اربع ســـاعات من الموصل . كان دير باسم مار زينا ، وأصله من خرساباد (البوازيج او بارمان) تنصر هو واخته سارة وسيم قساً ثم اسقفاً لبارمان ، بيد شموئيل ، جاثليق المشرق (٦١٤ ـ ٦٢٤) . ونصر خلقاً كثيراً وبنى بيعاً واديارا وعلا صيته . وتنسكت اخته وبنى لها ديراً . ثم إستشهد الاســـقف بعد عمر طويل حوالي ســـنة ٦٤٠ م . وبنى هذا الدير على اسمه وتنصر فيه في يوم واحد زهاء ستة آلاف نفس . واجتمع اليه رهبان كثيرون ، بلغوا المائة والسبعين . وكان بجانب الدير عين ماء يظهر فيها زئبق وقار يرتفق بها رهبانه ثم استبد به بعض الحكام فانقطع الزئبق وبقي القار . فكان الرهبان يستغلونه على مـا ذكـر ياقوت . وحكى ابن العبري في تاريخه المدني السرياني صحيفة ٤٢٦ قال : في ســـنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) مات نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن آقسنقر ملك الموصل كان عند اشتداد مرضه ، أشار عليه الأطباء ليسبح في عين دير زينا المقدس الواقع على شاطىء دجلة . فلما ذهب اليه وسبح لم ينتفع شيئاً لاشرافه على الموت ، فمات في الطريق من يومه . فمدة هذا الدير المعروفة كانت زهاء ستمائة سنة .

(١) ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٨٨ حاشية ١ رقم ٥ .

وأما دير مارت سارة (السيدة سارة) فكان بالقرب من نهر الخازر ، وكان خاصاً بالرهبان ». (١)

وتوجد أيضاً ترجمة أخرى لمار زينا في مخطوطة في برطلي وهي ملك الشماس شابا اسحق حنونا من بيت سبتي كلو . وهي التي أوردناها في القسم الأول من الكتاب بعد إجراء بعض التنقيح عليها لغوياً وتعبيرياً .

أما محل أصل القديس مار زينا حسب رأي البطريرك برصوم فهو من خرساباد أي البوازيج أو بارمان أو أنه من حد قاباض التي هي بيث وازيق أعني البوازيج من قرية إسمها تل السلطان على حسب رأي مخطوطة كلو . وطالما لا نستطيع التأكد من وجود تل السلطان نلاحظ بأن النصين يذكران بوازيج . ونجد أيضاً تحويرين مختلفين هما (خرساباد ، حاد قاباض) لاسم نرسيباد .

ومن المعلوم ان نرسيباد كانت قاعدة اسقفية سريانية يعرف منها اسقفان وهما شربل (٢) نحو سنة ٧٨٠ وايليا (٣) سنة ٨٣٤ .

(١) - كتاب الديارات للشابشتى صحيفة ٢٦٣ رقم ٢٧ .

(٢) - شربل : ولد في نرسيباد قرية بتكريت . نصبه قرياقس البطريرك اسقفاً . ولكنه ما كاد يستقر فى ابرشيته حتي ناهضه اسقف كرمي فتخوف الأسقف وانهزم الى قريته وانزوى في إحدى صوامعها ، وكتب صك استقالته واوفده الى الأساقفة ، (طالع أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان للقس اسحق أرملة صحيفة ٢٦ رقم ٤٤)

(٣) - ايليا : جاء ذكره في كتاب أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان للقس اسحق أرملة صحيفة ٢٧ رقم ٤٨ باسم توما الثاني : ولد في تكريت وتنسك في دير سويرا بالرها . وقلده الاسقفية ديونوسيوس التلمحري عام ٨٣٤ . ولما صار الى مركزه عزل جورجي اسقف بحرين فتخرب له أهالي قرية كرمي ووشوا به الى الوالي فاعتقله ثمانية شهور ثم سرحه وقضى الأسقف نحبه يوم السبت ٨ أيار وخدم ثلاث عشرة سنة .

والمستشرق هو نيمان (*Honigmann*) خصص فصلاً طويلاً من كتابه عن دير برصوما ص ١٦١ ـ ١٦٢ دون ان يلاحظ علاقة هذه المدينة (نرسيباد) مع قرية هاغلا (هاكلا) التي على الطريق العربي الموازي لدجلة كما لاحظه الخوري اسحق أرملة في كتابه مقارنة السريان اذ يقول : « ان نرســيباد هي إحدى قرى تكريت » ونقدر ان نضيف انها على الضفة الشرقية من دجلة .

فنلاحظ اذن ان نرسيباد هي إحدى المدن السريانية لمنطقة بارمان أي القسم الشمالي الغربي لاقليم بيث كرماي تحت الزاب الصغير شرقي دجلة مقابل تكريت .

وبالحقيقة ان ترجمة مار زينا هي قسم من سلسلة قصص تكريت وان عبادة هذا القديس إنتشرت في الخلايا التكريتية . فما عدا كنيسة مار زينا في قرهقوش التي تربطها بتكريت عــلاقة قديمة ، نجد كنيسة ثانية بالموصل من بين كنائس التكريتيين باسم مار زينا . (١) وهذا ما يؤيد ما قلناه سابقاً .

ولكنه من الجدير بالذكر بأنه رغماً من قول المستشرق (اوكو) « *Oko* » مونري دي فيلار في كتابه رحلة في الشرق للاب ريكولدو ده مونيتكروتشى (٢) . اذ زعم بأن هناك في تكريت كنيسة باسم كنيسة مار زينا . والحقيقة ان ابن العبري الذي يشير إليه الاب ريكولدو إنمايشير الى كنيسة مار زينا للتكريتيين في الموصل .

دير مار زينا او دير القيارة :

أسس زينا الأســقف ديره المسمى دير القيارة نسبة الى عين القار التي هي

(١) – راجع كتاب الموصل المسيحية للاب حنا فيي الدومنيكي ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٢) – راجع كتاب رحلة في الشرق للاب ريكولدو ص ٧٤ طبعة روما سنة ١٩٤٨ .

بقربه على دجلة مسافة ٢٥ كيلومتر جنوبي شـــرقي الموصل . والمدينة العصرية التي تسمى اليوم حمام العليل .

ان زينا صادف هناك في تلك البقعة ثعباناً طوله أربعون ذراع على ما ترويه الترجمة وحولـه الى صخرة جامدة . فظهر هناك عين ينبع منها زئبق وقير . فبنى ديره هذا بمذابحه الثلاثة والسبعين بالقرب من تلك العين وكان يعيش فيه عـــدد كبير من الرهبان والكهنة .

ثم أنه بعد إستشهاد القديس نحو سـنة ٦٤٠ على حد قول البطريرك برصوم ، نبعت عين ثانية لزئبق خالص في مكان إستشهاده وان الملك المظطهد الذي أمر بقتل مار زينا أصابه الجذام (البرص) لكنه شفي عند العين اذ سـبح فيها وعندئذ وضع جسم القديس فوق التل هناك وبنى ديراً جديداً عليه وفي الدير وضع جرن العماذ وسبعة مذابح وإعتمذ الملك نفسه مع ٥٩٠٠ شخص وعندما رجع الى عاصمة آثور أمر بكسر الأصنام وأرغم السكان على إعتناق النصرانية ومن يخالف يقتل .

من خلال كل هذه الأساطير غير المطابقة مع التاريخ نخرج بنتيجة هي أننا مع القصة في بداية العصر الاســلامي ونقدر أن نقول بقليل من التحفظ أن الدير أو الكنيسة حيث دفن زينا كانت فوق التل الذي هو في حمام العليل والمعروف بتل السبت

ثم تستمر قصة الدير . ومن خــلال هذه الاسطورة التي ترويها الترجمة اسـطورة الأســاقفة السارقين لذخـيرة القديس كذلك العدد الذي يحفظه البطريرك برصوم بأنه كان في الدير عندئذ ١٧٠ راهباً وكان باستطاعة الدير أن يضم أكثر بفضل التجارة الرابحة للقير والزئبق اللذين كانت القوافل تنقلهما الى سوريا .

وتستمر المخطوطة في القصة فتذكر حادث أحد الرهبان المدعو موسى العربي كيف أنه شرع وقت القداس يقص ما رآه بالروح عن أحد جمال الديزا إذ سقط وكسرت ساقه اليمنى. فطرد الراهب كمجدف ومعتوه ولكن الرهبان قصدوه معتذرين حين تحققوا صحة الرؤيا لدى عودة القراوانات. ولكن الراهب موسى رفض العودة الى الدير الكبير الذى تنبأ بخرابه رغم ازدهار ذلك الزمان. فطلب بناء دير صغير له. وبعد اربعين سنة وقع بالفعل خراب الدير الكبير (دير مار زينا).

ويظهر ان الدير الصغير المجاور للدير الكبير والذي كان قد طلبه الراهب موسى، قد بنى فعلاً.

اما العين (عين الزئبق والقير) فقد استولى عليها احد الملوك (؟) وعندئذ اختفى الزئبق ولم يبقى الا القير. وعندما نـدم الملك على فعلته ظهر الزئبق ثانية. والظاهر انه اختفى مرة اخرى وحتى اليوم، اذ لا يوجد فيها سوى القير.

وقد كان لدير مار زينا مكتبة شهيرة، ذلك ان البطريرك النسطوري طيمثاوس الاول سنة ٧٨٠ أو سنة ٧٨٩ الى سنة ٨٢٣ يذكر قسماً من مخطوطاتها في رسائله (١).

ولقد وصف دير مار زينا هذا أو المسمى بدير القيارة ابو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ـ ٩٩٨ م في كتابه الديارات. وهذا ما جاء فيه بالنص: « وهـو دير لليعقوبية » على اربعة فراسخ من الموصل، في الجانب الغربي

(١) ـ راجع رسائل طيمثاوس ص ٨٦ .

من اعمـال الحديثة (١) ، مشرف على دجلة . تحته عين قير (٢) ، وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة ويخرج منها القـير . فما دام القـــير في مائه فهو لين يمتد ، فاذا فارق الماء وبرد جف .

وهناك قوم يجتمعون فيجمعون هذا القير يغرفونه من مائه بالقفاف ، ويطرحونه على الأرض . وله قـدور حديد كبار وينخل له الرمل ، فيطرح عليه بمقدار يغرفونه ويوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل . وهم يحركونه تحريكاً دائماً . فاذا بلغ حد استحكامه قلب على الأرض قطعاً مجمدة ويصلب ويحمل الى البلدان فمنه تقير السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير . (٣)

والناس يكثرون القصد لهذا الموضع للتنزه فيه وللشرب ويستحمون من ذلك

---

(١) ــ تعرف بحديثة الموصل ، تمييزاً لها عن حديثة الفرات التى تسمى أيضاً بحديثة النورة . قال ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان ٢ : ٢٢٢) وهي بلدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي . قرب الزاب الأعلى .

(٢) ــ هذه العين ، هي المعروفة بحمام علي ، ويسميها الناس اليوم « حمام العليل » ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٣٢٩) بقوله : « حمام علي باصطلاح اهل الموصل . وهي بين الموصل وجهينة ، قرب عين القار غرب دجلة . وهي عين ماؤها حار كبريتية . يقول الموصل ان بها منافع والله اعلم . وحمام علي في وقتنا بلدة عامرة يقصدها الناس صيفاً للاستحمام بمياهها المعدنية . وهي في جنوب الموصل ، نحو ١٦ ميلاً منها . واليوم هي مركز قضاء الشورة .

(٣) ــ وصف غير واحد من الكتبة الاقدمين هذه العين ومنافعها وكيف يستخرج القير منها ، نذكر ابن جبير (رحلته ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤) ، طبعة دي غويه . وياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٨٩) والقزويـــني : (آثار البلاد ص ٢٤٨) وابن بطوطة (تحفة النظار ٢ : ١٣٣ ــ ١٣٤) وقـــد تصحفت الى (عين الفتاوة) .

الماء الذي يخرج معه القير ، لأنه يقوم مقام الحمات في قلع البثور . وله (١) قائم (٢) وكل دير لليعقوبية والملكية فعنده قائم . فأما ديارات النسطور فلا قائم لها . »

وفيما عدا الشابشتي هناك بلدانيون آخرون يصفون الدير المسلط على دجلة . والذي فيه برج لانه يقال انه في جميع ديورة اليعاقبة والملكيين فيها برج (قائم) بينما الاديرة النسطورية ليس فيها البرج أو القائم .

ومن بين المرضى المشهورين الذين اتوا الى عين مار زينا طالبين الشفاء نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن آقسنقر ملك الموصل في سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) ولكنه لم يجد الشفاء المنتظر لانه كان قد دنا من الموت ومات في الطريق عند العودة الى الموصل (٣) .

وتختفي اخبار الدير بعد القرن الثالث عشر .

وفي القرن الثامن عشر يذكر ياسين العمري في كتابه (منية الادباء) بقوله : (دير القيارة : على اربع فراسخ من الموصل ، في الجانب الغربي ، مشرف على دجلة

---

(١) ـ الضمير يعود الى دير القار .

(٢) ـ للاستاذ البحاثة حبيب الزيات ، فصل في تفسير لفظة [القائم] الديارات النصرانيه [ص ٢٣] يؤخذ منه ان هذه اللفظة وردت في كتب الدريات ولم تشر اليها معاجم اللغة . ويؤخذ من بعض النصوص القديمة ان القائم منارة عالية كالمراقب . ولكن من بعضها الاخر ما يدل على انه لم يكن مرقباً فقط . ولعل اوجه ما يقال فيه انه كان شبه صومعة تتخذ الى جانب بعض الاديار لسكنى احد النساك المعتزلين فيه .

(٣) ـ طالع التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٤٢٦ . وياقوت الحموي [معجم البلدان المجلد الرابع ص ١٦٤] ومسالك الامصار ص ٣١ .

وتحته عين تفور (ماء حار) يصب في دجلة . ويخرج من العين قار ، واهل الموصل يقصدونها للتنزه ، ويسبحون بذلك الماء ، لأنه يقلع البثور ، وينفع الامراض البلغمية ، والآن تعرف ، بحمام علي ، والعين الكبيرة والدير بدار السلطان . وقد بقي القليل منه) .

اما ناشر كتاب منية الادباء الاستاذ سعيد الديوه‌جي فيقول : (تحت تل السبت في حمام العليل ، ارض واسعة تسمى (دار السلطان) ولا ندري من هو السلطان الذي كان بنى له داراً في هذا المكان ، والذي نراه ان الدير كان فوق تل السبت . انظر (معجم البلدان : ٤ : ١٦٥ ، ١٦٦) و (مالك الامصار : ١ : ٣٠١) والعين ليست بدار السلطان كما ذكر صاحب كتاب منية الادباء السيد ياسين العمري .

وجاء ايضاً عن عين القار في الكتاب ذاته (منية الادباء) ما يلي : (عين القار : غربي دجلة ، عن الموصل مرحلة وهي ماء حار ، يخرج منها القار ، يقصدها اهل الموصل بالصيف يستشفون بمائها) .

والاستاذ سعيد الديوه‌جي يعلق على هذا القول قائلاً « عين القار وتعرف بحمام العليل أو حمام علي وهي من الأماكن التي يقصدها الناس وخاصة أهل الموصل . فمنهم يستشفي بمياهها المعدنية الحارة ، ومنهم للنزهة والراحة ، وهي مركز قضاء الشورة . وماؤها تقل حرارته احياناً . وذكر ابن الاثير في (الكامل : ١٢ : ١٣٦) سنة ٦٢٣ وفيها كانت اعجوبة ، بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة ، شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون . . . ففي هذه السنة برد الماء فيها ، حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وإنتقلوا الى غيرها .

وجاء في غرائب الاثر في حوادث سـنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وفيها غارت العين (عين حمام علي) ثم ظهرت عين تعرف بعين ميمون ، وكان ماؤها بارداً . فلما غارت عين القار ونبعت عين ميمون . صار ماؤها حاراً ، وطلع مع الماء القار قليلاً قليلاً . (١)

والسائح كويني يذكره في كتابه تركيا الاسيوية (٢) ، يقول : « في نهاية القرن الماضي وبالقرب من الحمام تل الذي من أعلى قمته ترى الموصل . ومتأخراً وجد العمال بأسفل هذا التل بقايا كنيسة أو دير » .

ديـــر سارة :

هناك ديران باسم دير سارة .

ان سارة حسب مخطوطة كلو كانت من عرق ملكي وبعد إستنصارها مع أخيها مار زينا أثر القضاء على الثعبان أتت الى بلاد آثور حيث وجدت بالقرب من تل كبير مغارة عاشت فيها حبيسة مدة أربعين سنة الى حد أنها لم تر النهر الذي كان يجري أمام مغارتها ويشهد عن فضائلها الراهب اسحق القلالي ؟ وما كانت تذوق طعاماً إلا من الطعام الذي كان يأتيها به الملائكة كل يوم ! .

وعندما مرضت أتاها أخوها زينا الذي كان قـد أصبح أسقفاً . فسألته أن يبني لها ديراً على ذلك التل . ويظهر أن أخاها لم يلب طلبها . وحتى يطيل الفرصة لتحقق

(١) ـ راجع منية الادباء للسيد ياسين العمري ص ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ طبعة سنة ١٩٥٥ .
(٢) ـ المجلد الثاني طبعة سنة ١٨٩٤ ص ٨٠٤ .

مشروعها إكتفى زينا بشفائها من مرضها وطلب من الله أن يمنحها ثلاث سنوات للحياة . وفي هذه الأثناء تمرض ملك آثور (؟) .

وهنا يجب الاشارة الى أن زينا قد أصبح أسقفاً في زمان جاثليق تكريت شموئيل (١) (٦١٤ ـ٦٢٤) والى أن سارة إنطلقت عندئذ الى مغارتها في بلاد آثور حيث مكثت أربعين سنة حبيسة فوصلنا الآن بين سنة ٦٥٤ و سنة ٦٦٤ . ولا يمكن إن يكون ملك الموصل آنذاك ملك آثور إنما حاكماً مسلماً ولكن هـذا لا يهم لان المؤرخ لا يشاور في قصص القديسين ولا يؤخذ رأيه بالضبط .

تمرض الملك وبأمر من سارة ذهب الى العين التي بقرب مغارتها وسبح في مائها فشفي . ومكافأة لها وتلبية لرغبتها بنى لها ديراً حسب تصميمها ورسمها .

والدير الذي بناه ملك آثور للاميرة بنت ملوك تل السلطان قد يمكن أن يكون اسطورة من نوع أساطير الأديرة الأخرى المؤرخة على هذا المنوال . ثم ان الدير سكنه رهبان كثيرون (وليس راهبات) .

وعندما تنتهي السنوات الثلاث يحضر زينا لدفن أخته في الدير الذي بناه الملك .

وبعد مرور سنوات عديدة على موت القديسة إقترح رؤساء البلاد على السلطان أن ينقل دير سارة الفاضلة الى جوار الرحى المنصوبة على النهر المسمى الخازر الذي يجري شرقي الدير ، كي يتسنى للناس زيارة الدير بسهولة أكثر ، مرة كل شهر على

(١) ـ شموئيل : تولى رئاسة السريان في المشرق عام ٦١٤ واشتهر في عهده ماروثا التكريتي الذي خلفه فاستدعاه اليه ليقلده رعاية تكريت فأبى . وتوفي شموئيل سنة ٦٢٤ . (طالع انباء الزمان القس اسحق ارملة ص ٢٣ رقم ٣٣) .

الأقل أو مرة كل أسبوع للذين يسكنون أقرب إليه (أي كل يوم سبت) ويقدموا الطحين للقداس والدراهم لشراء الزيت . وهكذا صار إذ تم على ما أظن ، نقل الدير الى الضفة الغربية للخازر .

إن هذا النص ليس بواضح في مخطوطة كلو ولغته غير متسلسلة ولذا يعسر فهمها وقصد كاتبها .

أما الأسماء المحلية فتوكد هذه الفقرة اذ يوجد محل أول باسم دير سارة على شاطىء الزاب الكبير الشمالي (النهر الذي لم تره القديسة) بين طريق الكوير وقرية أبزق بجوار قرية حمرة في الموضع المسمى دير البنت وقرية مجاورة له تسمى مطران لعله تذكار لزينا الأسقف أخي سارة دعيت القرية باسمه .

اما دير سارة الثاني فيقع على حافة الخازر على الشاطىء الغربي جنوب قرية زهرة خاتون تقريباً مقابل قرية تل أسود بالقرب من القرية الصغيرة المدعوة النجفية . والآن في وقتنا يسمى هذا المكان (ديسارة) وهي لفظة كردية معناها (التلان) . ويرى حتى الآن آثار دير صغير ضلعه نحو خمسين متراً طولاً . ويقع فوق عين صغيرة تنبع على حافة الخازر .

يفهم من هذا كله ، وعلى الأرجح يكون حسب رأي أن دير سارة كان بالقرب من قرية زهرة خاتون . والدليل ان الموقع الذي يدعى اليوم باسم (ديسارة) يدل دلالة صريحة على ان اسمه كان (دير سارة) لكن يد التحوير إمتدت الى الاسم وجعلته (ديسارة) فاتفق هذا التحوير مع اللفظة الكردية ديسارة أي التلين . والتلان لا زالا موجودين هناك حتى اليوم . والدليل الثاني والأقوى على ان دير سارة

كان في هذا المكان هو وجود بقايا آثار دير كما ذكرنا قبل قليل .

وأخيراً بقى ترى هل كان اسم هذة القديسة سارة أخت مار زينا مذكوراً في قائمة القديسين . نعم لقد ورد ذكر اسمها في الكلندار العربي للمطران بهنام بني الذي نشره سنة ١٨٧٧ في الموصل حيث يقيدها قديسة وشهيدة (١) . إلا ان اسمها يختفي في الكلندار الذي يليه سنة ١٨٨٧ اذ حذف منه .

وجملة القول :

اذا حذفنا من القصة الثعبان المقتول والملوك المبرئين وقصص القير والزئبق والتجارة المثمرة الرابحة حيث قراوانات الدير تحرسها الرؤية الروحية ، يبقى من القصه :

ان مار زينا هو من قرية نرسيباد من كورة تكريت القريبة من بارمان التابعة لكرسي تكريت للسريان المفارنة وهي عند جبل حمرين قريباً من الفتحة مقابل (كي تو) « K2 » على الطريق العربي الموصل بين مدينة تكريت ومدينة الموصل . ثم رسم مار زبنا كاهناً وعين اسقفاً بيد الجا ثاليق شموئيل (٢) لأبرشية بارمان . واليوم يطلق عليها اسم باريمة ، ورد ذكرها في كتاب منية الادباء اذ يقول : باريمة (عامرة شرقي الموصل ، وبالقرب منها ، ماء النوران . وماء النوران ينبع من سفح تل صخري ، وهو يتألف من عدة منابع ، يسقي اراضي باريمة وخرساباد ، وما فضل منه ينحدر الى

(١) - ان اعطاء لقب شهيدة للقديسة سارة لا يتفق مع الترجمة التي رأيناها في مخطوطة كلو .

(٢) - ومن المهم هنا ان يسمى شموئيل « جاثاليق » لأنه لو كان النص متأخراً لكان يسمى « مفريان » كما يفعل ابن العبري .

الجنوب ويصب على نهير الخوصر الذي يصب في دجلة قرب جسر الموصل .) (١)

ويبقى من القصة أيضاً ان القديس مار زينا وأخته القديسة سارة أسسا أديرة وتلمذ الكثيرين من المجوس . وان هذه الأديرة توجد بعدهما زاهرة بالرهبان . وان مار زينا يموت شهيداً في يوم تذكار وفاة أخته الطبيعية ولكن بعد عدة سنوات . ويصادف ذلك في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني حوالي سنة ٦٤٠ م .

(١) ـ بارمان : كانت قاعدة لابرشية واسعة تابعة لكرسي تكريت وهي اليوم تدعى باريمة تقع بالقرب من خرساباد . سكانها على الاغلب شبك وعدد بيوتها يبلغ حوالي الخمسين بيتاً . تبعد عن شمال شرقي الموصل حوالي عشرون كليو متراً .

كنيسة مار زينا

في قره‌قوش

تقع هذه الكنيسة في الجهة الغربية من قره‌قوش . على الطريق العام الرابط بين مدينة الموصل ـــ قره‌قوش ـــ الكوير . وكانت تمر منه الجيوش المحاربة القاصدة مدينة الموصل أو كركوك قديماً لأنه طريق قصير وسهل المسلك ويسمى اليوم بالسريانية العامية (شوباد شولطانا) أي درب السلطان .

إننا لم نتمكن من معرفة تأريخ انشاء هذه الكنيسة ، للحوادث التي نكبت هذه الديار . وللحروب والاضطرابات التي حلت بقره‌قوش على أيدي الغزاة والظالمين والفاتحين لهذه البلاد بين آونة واخرى مما لم يعط المجال للمؤرخ القره‌قوشي لكي يكتب عن قريته أو لكي يدون بعض النبذ عنها .

الا أنه يظهر من بعض شذرات تاريخية ان الكنيسة اي كنيسة مار زينا في قره قوش جددت مرتين بعد عمارتها . وبين التجديد الأول والثاني فترة طويلة من الزمن (قدتكون مئات من السنين) . ويمكن انها قد جددت قبل هاتين المرتين ايضاً ، لكن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن ذلك . ومن هذا نستنتج احتمالاً ، انها قديمة العهد كثيراً .

جاء في حاشية كتاب سرياني يتضمن بعض الطقوس البيعية . وهو مخطوط قديم

موجود الآن في مكتبة دير الشيخ مار متى ما نصه : « كتبه القس يعقوب بن ايليا بن هرمز من القرية المباركة باخديدا ببلد الموصل في أيام البطريرك اغناطيوس داؤد شاه الثاني (١) والمفريان باسيليوس فيلاطس (٢) سنة ١٩٠٠ يونانية ١٥٨٩ ميلادية في

(١) — لقد ورد اسمه في كتاب الزهرة الذكية في البطريركية السريانية الانطاكية بلقب اغناطيوس بطرس الرابع : هو داود شاه بن الشماس قسطنطين شقيق البطريرك نعمة الله ابن الوجيه يوحنا بن نور الدين كان مفرياناً على المشرق وفي الشهر الثامن لمفريانيته انتدب الى البطريركية وارتقى اليها سنة ١٥٧٦ وكانت مدته خمس عشر سنة وتوفي عام ١٥٩١ ودفن في كنيسة مار توما الرسول في قرية قطربل بدياربكر . واليه ارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ سفيراً يقال له ليونرد هابيل مطران صيدا حاملاً اليه درع التثبيت آملاً بأنه يعتنق الايمان الارثذكسي (الكاثوليكي) فأجاب بطرس الرابع الى ذلك وكتب صورة ايمانه الى الحبر الروماني وهي محفوظة في المصحف الفاتيكاني نومرو ١٦٩ وكان ذلك بسعي البطريرك نعمةالله . سالفه غير انه ما عتم ان عاد الى معتقده الاول . ومن مآثره انه شيد كنائس كثيرة واشترى في اورشليم كنيسة الاقباط واسعف الرهبان السريان القاطنين دير والدة الله في برية الصعيد بمصر . (راجع الزهرة الذكية للاب اسحق ارملة ص ٨٥ رقم ١٢٢) .

(٢) — باسيليوس فيلاطس : ولد في المنصورية قرية مجاورة لماردين الى غربيتها وقرأ العلوم في دير الزعفران . ونصبه باسيل داود شاه مفرياناً سنة ١٥٧٦ وساس كرسي المشرق خمس عشر سنة ، ثم رقي الى المقام البطريركي سنة ١٥٩١ وطالت مدته ست سنوات وتوفي في حلب سنة ١٥٩٧ ودفن في بيعة والدة الله . كان والده قساً يسمى اسطفان. ومن اعماله المغايره للقوانين الكنسية انه رسم بيده عبد الغني شقيقه بطريركاً سنة ١٥٩٥ قصد ان يخلفه . الا انه لما توفي بيلاطس رفض عبد الغني بالكلية وفقاً لما سنته القوانين من انه (اذا اقيم بطريركان لكرسي واحد فالحق للاول والثاني يبطل) . الا انه انعم عليه بحقوق المفريانية حتى وفاته فدفن في ضريح اخيه بحلب سنة ١٥٩٧ . (راجع الزهرة الذكية ص ٨٥ رقم ١٢٣) . ولقد عرف في عهد باسيليوس فيلاطس عندما كان مفرياناً مفريان آخر اسمه ايليا على ما ورد في تاريخ علق على كتاب الهدايا لأبن العبري منسوخ سنة ١٥٩٠ . وكان لهذا المفريان (فيلاطس) ابن اخت اسمه عبد النور سار الى رومية صحبة المطران موسى وزارا البطريرك نعمة الله وزاولا اللغة الايطالية فأتقناها . ثم تولى الشماس عبد النور تدريس اللغات الشرقية في رومية زمناً وعاد الى وطنه ورسم كاهناً .

دير الشيخ مـار متى في جبل الفاف . وأهداه الى كنيسة مار زينا التي رممت في تلك السنة بعدما كانت مهجورة منذ زمن طويل بهمة المفريان المذكور ورئيس دير مار بهنام باكوس الخديدي (١) بمساعدة الأهالي وصرفوا عليها مبالغ طائلة) .

من هذه الحا شية نفهم ان اول تجديد لكنيسة مار زينا يذكـر في التأريخ المدون كان سنة ١٥٨٩ ، بعدان بقيت متروكة مدة طويلة . ويظهر ان تلك المـدة التي أصبحت فيها الكنيسة متروكة لاتقل عن ثلاثمائة سنة بموجب هذه الحاشية القديمة بهمة المفريان باسيليوس فيلاطس وبسعي رئيس دير مار بهنام الشهيد الراهب باكوس بأيام البطريرك داؤد شاه .

أما التجديد الثاني فكان سنة ١٧٣٨ م . (٢)

وفي عام ١٧٤٣ أصاب الخراب كنيسة مار زينا في قرهقوش كما أصاب الخراب باقي الكنائس اذ حرقتها جيوش الطاغية نادر شاه (طهماسب) الفارسي أثناء غارته المشؤومة على مدينة الموصل (٣) . ورممت مع بقية الكنائس بأمر من حاكم

(١) ــ الراهب باكوس : هــو ابن مرقوس اشتهر بحسن خطه وكان قد ترأس دير مار بهنام الشهيد سنة ١٥٧٢ .

(٢) ــ راجع كتاب اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام برصوم ص ١٧٠ حاشية ٢ رقم ٥٢ . كتاب اللؤلؤ النضيد للخوري افرام عبدال ص ٢٣٤ .

(٣) ــ في سنة ٢٠٥٤ يونانية ١٧٤٣ ميلادية ١١٥٦ هجرية وقعت محاصرة الموصل من قبل نادر شاه [طهماسب قولي خان] وكان معه ثلاثمائة الف جندي مقاتل من غير الاسرى واتباع العساكر . حاصر الموصل مدة طويلة لكنه خاب ورجع الى بلاده في الرابع من شهر رمضان في ذات السنة . ونهب وسلب واحرق الكتب وهدم الكنائس . وكان يومئذ في قرهقوش عشرون كاهناً و ١٢٠ شماساً .

الموصل الحاج حسين باشا الجليلي سنة ١٧٤٤ على أيام المطران يوحنا كارس القرهقوشي (١) .

وهكذا ومن التقاليد المتداولة بين سكان قرهقوش القدماء ومما تناقلته الألسن ، ان زينا الذي سميت كنيسة قرهقوش باسمه كان من عائلة متنفذة شبه حاكمة في هذه الديار وكان مجوسياً ثم تنصر ودخل السلك الرهباني هو وأخته سارة ثم رسم أسقفاً وآمن بواسطته مجوس كثيرون وبنى أديرة كثيرة . وصادف يوماً ان خرج لزيارة بعض الجهات من أبرشيته وبينما هو ماشي في إحدى الطرق منعه أهالي الجهة ان يسلك تلك الطريق حيث يوجد ثعبان مخيف . أما الأسقف مار زينا الغيور فقد أبى إلا ان يسلك الطريق . ولما وصل الى الثعبان إستغاث بالرب وطلب منه المساعدة على قتل الثعبان فاستجاب الله دعاءه وإستطاع ان يقتل الحية الجهنمية . فبنى في ذلك المكان ديره الذي يعرف اليوم موضعه باسم حمام العليل .

---

(١) – المطران يوحنا كارس هو يوحنا بن بهنام يغمور الخديدي اشتهر من بين شعراء الطبقة الثالثة بالشعر السرياني وبحسن الخط . تعلم دروسه في دير مار بهنام وسيم كاهناً باسم بهنام وتقلد رئاسة الدير المذكور ثم رسم مطراناً على الدير وقرهقوش وقام بمهمته احسن قيام . وفي زمنه جددت كنيسة مار زينا وكنائس قرهقوش الاخرى . وهو الذي امر سكان قريته بالرحيل الى الموصل والاقامة فيها استناداً الى رسالة وجهها له الحاج حسين باشا الجليلي حاكم الموصل ابان غارة طهماسب فترك السكان القرية آخذين معهم جميع ما تمكنوا على حمله واخلوها تماماً وحوصروا في الموصل مع بقية السكان وبقي هو أي المطران كارس وبعض الافراد في القرية لحراستها حتى قدوم الطاغية . فتركها والتحق بجماعته في الموصل واشرف على بناء وترميم الكنائس التي خربتها الجيوش الفارسية بعد رجوعها الى غير عودة . وسعى ايضاً بحفر بئر كبير في قرهقوش للشرب لا زالت موجودة وجدد عمارة المعصرة الخاصة بدير مار بهنام في قرهقوش ايضاً . كان تقياً فاضلاً لبى نداء ربه سنة ١٧٤٧ م .

ازاء هذا كله يتضح لنا ان الكنيسة المبنية في قرهقوش والمسماة على اسم الأسقف زينا أخي القديسة سارة قديمة العهد بقدم دخول عبادة هذا القديس الى قرهقوش وانتشارها بين أهاليها .

وهنا يتبادر الى ذهننا سؤال : هل يا ترى ان زينا الأسقف بناها هو نفسه ، لوقوع القرية قرهقوش وسط الطريق المؤدية بين دير أخته سارة قرب الخازر في قرية يقال لها اليوم « زهرة خاتون » (١) وبين ديره المعروف محله اليوم باسم (حمام العليل) أم شيدت هذه الكنيسة بعده بزمن طويل ؟ ؟ ؟

ليس ببعيد ان تكون هذه الكنيسة قد شيدت من قبل الأسقف زينا . أو قد بنيت في عصره لصلته بهذه المنطقة اولاً لنصرانية سكانها (سكان قرهقوش) . وثانياً لأنه لابد ان الأسقف زينا كان أسقفاً على هذه الديار والمناطق . فمر بقرهقوش واراد الأهالي ان يقيموا ذكراً له ببناء كنيسة على اسمه وهذا هو الزعم التاريخي الذي اراه أولاً .

والرأي الثاني الذي اعتبره أقوى يتلخص بما يلي : ان عبادة القديس مار زينا كانت منتشرة بين التكريتيين ، فلربما حملوا هذه العبادة معهم لدى نزوحهم الى قرهقوش وذلك حوالي القرن الثاني عشر والثالث عشر . ويمكن القول بأن القرهقوشيين بعد هجرة التكريتيين الى قرهقوش بقليل شيدوا كنيسة مار زينا الماثلة حتى اليوم واستناداً على ذلك ، نخرج بالنتيجة الثانية ونقول : ان عهد الكنيسة يرجع

(١) – جاء في كتاب منية الادباء ما يلي : « ان زهرة خاتون قرية كبيرة عامرة شرقي الموصل ويوجد هناك عين ماء تدعى عين زهرة » ص ١٥١ .

الى القرن الثاني عشر — الثالث عشر .

وجدير بالذكر انه كان لدى سكان قرهقوش إعتقاد راسخ ويقين أكيد بشفاء المصابين بالحمى الباردة في هذه الكنيسة . اذ كان يؤخذ المريض الى فناء الكنيسة ، وهناك كان يستحم في مياه البئر الموجودة في الفناء . وهذه البئر لا زالت موجودة حتى اليوم (١) . أما الحمام فقد تهدمت . فكان المريض يوضع في حوض أعد لهذا الغرض في الحمام وبأمر الله يشفى وتفارقه الحمى وبعد أن ينام في الهيكل قليلاً حتى ينشف جسمه (يجف) ويأخذ راحته يخرج من الكنيسة شافياً متعافياً . (عن شيوخ القرية الثقات).

وحكي أن هذا القديس ظهر لعدد من سكان القرية خاصة للذين كانوا يخدمون كنيسته محذراً إياهم من بعض النقائص التي كانوا يرتكبونها في خدمة الكنيسة .

---

(١) - كان ماء البئر قد جف منذ مدة بعيدة إلا انه في ١٥ آذار سنة ١٩٦٥ وفيما كان العمل قائماً على قدم وساق في تجديد الكنيسة الاخير . ظهر القديس مار زينا في الحلم للمعماري حميد اسعد الموصلي الذي كان قائماً بتعمير الكنيسة المذكورة . رأى هذا شخصاً بزي شيخ وقور سأله عن مصدر الماء الذي يأخذونه للبناء في الكنيسة وأجابه حميد : من الاهالي . فقال القديس : ولماذا الا يوجد في فناء الكنيسة بئراً . اجابه حميد انها مطمورة بالتراب والقاذورات جافة يابسة . قال له القديس : كلا قم الآن وانظر . وهنا يقول الرائي نهضت من نومي وانا بين مصدق ومكذب . واتى المذكور الى عند الاب يوسف ككي واخبره بالرؤيا . ثم اخبر اناساً كانوا جالسين في المقهى ! فهم بعضهم بالذهاب قاصدين الكنيسة لرؤية ما اذا كان الامر حقيقة او خداعاً . فلما ذهبوا رأوا وأبصروا ان الامر صادق وحقيقي والبئر مملوءة وليس فيها أي قاذورات والماء صاف الى العمق . فهرع السكان لاخذ الماء منه تبركاً وشربوا منه فوجدوه حلو المذاق بعد ان كان مراً في السابق . ولا زالت البئر الآن مملوءة بالماء وربما يعاد امر الحمام ثانية في فناء الكنيسة . والوقائع فوق العادة التي حدثت لبعض سكان قرهقوش والقرى المجاورة لدى شربهم من هذا الماء لا تزال تذكر ، وتحدث حتى يومنا هذا . لا شك انها وقائع عجيبة يعزى وقوعها الى القديس مار زينا الشهيد .

وأنه ظهر أيضاً لبعض رعـاة الغنم من العرب المسلمين الذين كانوا يقيمون بجوار كنيسته في فصل الصيف محذراً إياهم بأن يحترموا حرمات الكنيسة .

ويتضح من وصف الأشخاص الذين رأوه أنـه كان على هيئة أسقف ، مرتدياً بدلـــة صفراء ممتطياً حصاناً أبيض ، ذا لحية طويلة وهيبة ووقار يـدخل الرهبة الى النفس . « عن لسان بعض العرب المسلمين من رعاة الغنم منهم احبيش أحمدي ، وسلطان بلوط الاحسيني . وعن واهف (ساعور) الكنيسة عزيز حنا بوسا » . ظهر لهم مؤنباً إياهم على بعض نواقص صدرت منهم .

وفي أيام إقامة الدعوى على عقار القرهقوشيين إستخدمت كنيسة مـار زينا كمخزن للحنطة والشعير وبقية الحاصلات والأثاث الأخرى التي كانت تجمع من الأهالي لبيعها ســـداً لمصاريف الأراضي والدعـــوى أيام غبطة البطريرك بهنام بني المثلث الرحمة (١) .

ثم إستخدمت كنيسة مار زينا من قبل الحكومـة العثمانية إبان الحرب العالمية

---

(١) – البطريرك بهنـام بني : ولد في الموصل في ١٥ آب سنة ١٨٣١ ودرس العلوم في مدرسة انتشار الايمان برومية . وفي ١٦ آذار سنة ١٨٥٦ ارتقى الى الدرجة الكهنوتية . وفي ٩ آذار سنة ١٨٦٢ انتدبه مار اغناطيوس انطون سمحيري الى ماردين ووشحه بمصنفة المطرانية على الموصل فأبدى أعمالاً تدل على الغيرة والنشاط ولا سيما عند حدوث المشاغب بشأن كنائس الموصل . وفى ١١ كانون الاول ١٨٩٣ نال الفرمان الشاهاني وانطلق الى رومية . وفي ١٨ أيار ١٨٩٤ حاز درع التثبيت إذ نودي به بطريركا على كرسي أنطاكية في ١٢ تشرين الأول ١٨٩٣ . وما كادت تمر على بطريركيته خمس سنوات حتى فاجأته المنية في ١٣ أيلول ١٨٩٧ ورتب جثمانه في كنيسة الطاهرة في الموصل . ســـاس الكنيسة والرعية بالفضيلة والتقوى مدافعاً عن حقوقها . وألف كتباً كثيرة وطبع كلنداراً سنوياً سبق وأن ذكرناه . ولا زال صدى ذكراه لدى سكان قرهقوش لما أبداه نحوهم من محبة وتفاني .

الأولى كمخزن للحبوب (الأرزاق) التي كانت تجبى من سكان قره‌قوش باسم المبايعات وعين عليها مأمور يدعى (عنبار مأموري) أي مأمور الأرزاق . وأول مأمور لها كان يدعى احمد افندي التركي الأصل ، وكان من مدينه اسطانبول .

وهكذا تهدمت الكنيسة ولم يبق منها سوى الجدران قائمة وقسم من سـقف الجناحين وقبة الهيكل وغرفة صغيرة كان يسكنها بعض الفقراء عند مجيئهم الى قره‌قوش . ومؤخراً استخدمت كمرسم لمدرسة قره‌قوش ولحفظ اللوازم المدرسية . ولكن هذه الغرفة هدمت اليوم أثناء التجديد الأخير كما سنبين ذلك بعد قليل .

لذا فقد تركت الصلاة فيها منذ زمن بعيد واقتصرت على مرتين كل سـنة اذ يقام فيها صلاة المساء يوم عيد مار افرام السرياني الملفان الواقع في الأسبوع الأول من الصوم الكبير ومرة ثانية اثناء حفلة السعانين حيث يزورها موكب التطواف لتلاوة قسم من الوردية منها .

وفي الأيام الأخيرة كان قد بني في فناء الكنيسة غرفتان جعلتا ملحقاً لمدرسـة قره‌قوش للبنين الواقعة الى جانبها .

وهكذا اهمل شأن الكنيسة كلياً أو كاد .

ولهذه الكنيسة وقف في قرية بعشيقة ورثته عند قسمة الكنائس . وهو عبارة عن بستان اشـجار الزيتون موجود الى اليوم ، يستوفي وارداته وكيل كنيسة الطاهرة في قره قوش وذلك بموجب سـند كان موجوداً لدى وكيل كنيسة الطاهرة المرحوم عبو قاشا سابقاً .

وفي هذه الأيام شاءت ارادة الله ان يسعى أهالي قره‌قوش بتجديد اثر من آثار

جدودهم العظام .

ففي صيف ١٩٦٤ قيض الله الاب يوسف ككي الغيور لكي يقود القره‌قوشيين في حملة تجديد كنيسة مار زينا تخليداً لذكرى القديس وتمجيداً للرب وذخراً لقره‌قوش . فبدأ بجمع التبرعات في ٢٦ آب ١٩٦٤ ، وبوشر بالعمل في ٨ تشرين الأول ١٩٦٤ ، بعد نيل رضى ومؤازرة راعي الأبرشية سيادة المطران قورلس عمانوئيل بني الجزيل الاحترام .

ثم ان الاب يوسف ككي قصد بغداد لجمع المساعدات من القره‌قوشيين الساكنين هناك . كما وجمعت تبرعات أيضاً من القره‌قوشيين الساكنين في كركوك .

واذاً بكنيسة مار زينا ترجع الى سابق عهدها ومجدها الاول ، اذ اصبحت آية في الفن القديم للبناء المندثر . واقيم لها مذبح صغير ابرز ما فيه الصليب الزجاجي الذي جاء غاية في الجمال . كما وجلب لها بيت لحفظ القربان في دير مار بهنام مكتوب عليه (١٩١٤) .

ثم فتح في جانبها الشرقي باب واسع ونوافذ واسعة من الجانبين . واما قبة هيكلها فلا زالت الزخرفة الكلسية الرائعة تدل دلالة واضحة على قدمها . ثم انها زينت ببعض الزينات والصور والتماثيل وبذا اصبحت لائقة كل اللياقة لاقامة الرب فيها .
يبلغ طولها من الداخل خمساً وعشرون متراً وعرضها اربعة عشر متراً . سقفها البيضاوي الشكل يستند على سبع اسطوانات ضخمة ثلاث على الجهة الشرقية واربعة على الجهة الغربية . وتشكل مع بعضها قناطر مشتركة تدل على عهدها السحيق وعلى فن بنائها القديم .

وبهذا يكون القرهقوشيون قد احيوا ذكراً لهم لا يفنى ولا يزول ، بيتاً للرب لائقاً بجلاله يسكنه بينهم مدى الدهور ، وبركته لهم ابداً .

☆

كنيسة الطاهرة الكبرى في قرهقوش

في صباح ٢١ آب سنة ١٩٣٢ دعي لوضع الحجر الاساسي راعي الابرشية . المثلث الرحمة المطران قورلس جرجس دلال وارساه في الركن الشمالي الشرقي من الكنيسة بعد اقامته الذبيحة الالهية . ولما انتهى العمل في عمارتها وتأثيثها استعد الرؤساء والاهالي لتكريسها .

وفي صباح اليوم السابع من شهر تشرين الاول المصادف فيه أحد تقديس البيعة سنة ١٩٤٧ قدم المدعوون من جميع الاماكن البعيدة والقريبة وفي مقدمتهم الرؤساء الروحانيون من المطارنة والكهنة والرهبان والراهبات والرؤساء المدنيين والاهلين من الموصل والقرى المجاورة .

وترأس حفلة التكريس التي دامت نحو اربع ساعات سيادة المثلث الرحمة المطران قورلس جرجس دلال .

هذه كلمة مختصرة عن هذه الكنيسة التي اشتهرت في البلاد كلها بعظمتها وضخامتها وفنها الهندسي الذي رسمه المهندس الايطالي السنيور نوئيل الشهير .

فقصدها الكثيرون للزيارة .

صلاة القديس مار زينـــا

عند استشهاده

يا ربي وإلهي الجبار الضابط الكل ، امنح النعمة والبركة لجميع الخلائق ولجميع الاديرة ، والمدن ، والابرشيات .

ثبت يا رب جميع الرهبان ، واعضد جميع الكهنة والأساقفة ، وساعد ابناء البيع المؤمنين ، وارفـــع عنهم الأذى والاضطهاد والبلاء ، واجعل على الأرض الأمن والسلام طول الزمان .

ربي وإلهي الجبار المتعالي القابض على كل شيء . إنني أموت من اجل اســمك ذي القدرة والعزة والجلال . وقد اسلمت جسدي الترابي للعذاب ، وانا أرغب اليك سائلاً ومتوسلاً أنت الجواد الكريم .

اللهم استجب لي دعائي ، واجعل لي نصيباً بـين مختاريك ، وفي يديك استودع روحي لك المجد والسجود والقوة والتسبحة الى مدى الدهور . . .

آمين

كلمة لا بد منها

بهذا أخي القرەقوشي العزيز أكون قد وضعت بين يديك كراسة في سيرة القديس مار زينا الذي يحمل لقبه كثير من أبنائنا ، لكي تقف على قصة هذا الشهيد الذي يسكن بين جوانب قريتك منذ قرون عديدة بدليل الكنيسة المشيدة على اسمه المجيد .

نعم بهذا أكون قد عرفتك الحقيقة التي كنت ظمآن اليها آملاً أنني ارويت غلتك .

واخيراً تقديراً لأبناء جلدتي أقدم هذه السطور مؤرخاً فيها جانباً من جوانب تاريخهم العريق وزاوية من زوايا عظائمهم الخالدة .

سهيل قاشا

الموصل

١٩٦٥ / ٦ / ٥

رتبة صلاة مار زينا واخته سارة

صلاة الابتداء :

أهلنا أيها الرب الاله لأن نكرم ونعيد بنية طاهرة وفكر نقي وضمير مستقيم وبقلب جذل، ذكر قديسيك مار زينا وأخته سـارة الطوباوية ، كيما ننال بصلواتهما النقية الرحمة والحنان ومغفرة الخطايا ، في هـذا العالم وفي الآتي فنمجد رحمتك هنا وهناك أيها الآب والابن والروح القدس .

فروميون :

للرب الصالح الذي لا يرغب في هلاك أحـد ممن خلقوا على صورته بل يريد أن يصل جميعهم إليه ويحيوا معه . ذاك الذي لم يشأ ان يهلك مار زينا وأخته سـارة بالاشواك والزؤان التي تربيا في وسطها . لكنه جذبهما بفرط صلاحه وأبلغهما الى ميراثه ، فصاروا حراثين نشيطين في كرمه وجفنات جميلة في حقله تعطي خمرة لذيذة لأبناء بيعته . الذي له يليق المجد . . .

السدر :

من يستطيع ان يتناول بالكلام عظمة جودك أيها الاله الكلمة فان محبتك للبشر أرفع من ان يصفها اللسان والعقل . أنت الذي من أعاليك المحتجبة تطلعت على جنسنا الضعيف ورأيته أسير ضلالة الشياطين ، إضطرك حبك الى الهبوط منها لأجل خلاصنا وتواضعت باختيارك فتجسدت وإحتملت في جسدك الآلام والصلب والموت لأجلنا ، لكي ترجعنا من ظلمة الظلال الى نور انجيلك العظيم وملأت الأرض معرفتك. ولما تعرف إليك مار زينا وفهم أسرارك المذهلة ، لم يرض بالعيش في ادغال الوثنية والاثم ، بل حداه وأخته سارة غليان الحب الى ترك أبويهما ونبذ مملكتهما بحثاً وراء حبك . فلما رأيت أيها الصالح أنهما إقتفيا أثرك بحرية ومن كل قلبهما ونفسهما ، للحال سهلت كل وعورة من طريقهما ، فأخفيتهما عن الذين خرجوا في طلبهما، ونجيتهما من الثعبان العظيم الذي سحقته وايبسته . وعبرتهما على الماء كما في اليابسة ، وأدخلتهما الى الكنيسة المقدسة بآثور . أما هما ، فلما إتسما بسمتك المقدسة ، إختار كل منهما لنفسه خدمة لائقة : ان سارة أقامت لسكناها صومعة حقيره ضيقة على حافة نهر صغير ، فوجدت فيها الطمأنينة . وسكن مار زينا على نهر الزاب الأعلى ؟ عند الرهبان القديسين . ومن هنا باشر بالتعاليم الالهية وبالسيرة الحميدة اللائقة به : فقد كان ليل نهار يتأمل في شرائعك ويتعجب من معجزاتك ويلهج بتسابيحك . وهكذا تقدم في العلوم وتسامى في الفضائل الروحية وفي الأعمال الانجيلية . ولأجل ذلك اهلته ليكون أسقفاً ، وسلمت بيده عصا الرعاة وأودعته مفاتيح الكنيسة المقدسة وقلدته

سـلطة ملوكـية في الأرض وفي السماء ، فيا لعظم تدابيرك الالهية ويا لسمو عطاياك الروحانية ، ويا لكرم نعمك التي لا تقاس .

ولمـا تقلد الطوباوي مار زينا سلاحك الذي لا يقهر ، اخذ يدبر قطيع غنمك بكل غيرة ونشاط ، جامعاً شمل المتبددين ، مداوياً جروح الضعفاء ومقيماً الساقطين ، قائـداً رعيتك الى مرعى هنيء لذيذ وحاملاً إياها على مياه عذبة تنبع منك . ولما كان متحلياً بهذه السيرة التي تليق بالرعاة الصالحين ، دعته نعمتك الى اكليل الشهادة الذي كانت نفسه تشتاق اليه . فنزل قوياً الى الجهاد : سـخر من العذابات وهزىء من التهديدات (بالتهديدات ؟) واحتقر الوعود الزائلة ، لأنه كان يرجو الحياة الأبدية ويشتاق اليها . وحينما نفذ فيه الموت بالسـيف ، صلى لأجل الملك قاتله الذي ادبته عنايتك بضربة . وبعد الشفاء الذي ناله بشفاعة مار زينا شهيدك ، ندم وآمن ودخل النصرانية . ومنذئذ أصبحت عظام الشهيد ورفاته منبعاً للعون والشفاء والمعجزات الباهرة التي ابتدأت من يوم إستشهاده ، والتي بها أظهرت قوتك الحالة فيه ، وسمو مكانته عندك . ونحن ايضاً يا رب اذ نحتفل بيوم انتصاره مع أخته الشجاعة سارة ، نرفع تضرعاتنا اليك لكي تتحنن علينا بجاه صلواتهما وتنجينا بشفاعتهما من كل أذية ومصيبة . نعم أيها الرب الالـه بجاه صلاة محبيك وبشفاعـة والدتك المباركة ، انقذنا هنا من اليد الظالمة ومن الرجل الغريبة ، ونجنا هناك من اللفظة المرة المبعدة عن (ميعادك) نعيمك . احفظنا هنا من المصائب القاسية والتجارب الصعبة ، وهناك من العذابات والبلايا الشديدة . هنا من الملذات المؤلمة وشهوات الجسد ، وهناك من الويلات المحزنـة والبكاء الدائم . هنا من المخاوف القاسية والشدائد المقلقة ، وهناك

من صرير الأسـنان المرعب ومن أتراح جهنم . هنا من اضاليل العالم ومن بلاياه ، وهناك من بحر النار الذي لا ينطفىء ومن الضيق الكامن فيه . هنا من الأوجاع والآلام ، وهناك من قبضة الشياطين التي في الجو . هنا من ضربات الغضب والعقاب القاسـي ، وهناك من النار التي لا تطفأ والدودة التي لا تموت . هنا من سيوف الحاسـدين ، وهناك من العذاب الأليم . هنا من فخاخ الأعداء وهناك من هوة الينبوس المملؤة كرباً . هنا من قساوة الظالمين وهناك من العث والسوسة المفسدة . هنا من السبي المؤلم ومن سائر الضيقات . وهناك من الندامة التي لا تجدي نفعاً ومن كل العذابات القاسية . هنا من ظلمة الضمير وهناك من الظلمة البرانية . فنصعد لك ، هنا وهناك ، المجد والتسبيح والشكر ولأبيك وروحك القدوس . . .

صلاة البخور :

ايها الرب الاله ، بشفاعة وبتضرعات قديسيك الذين ارضوك وكملوا وصاياك ، تقبل هذا البخور الذي قدمناه اليوم امامك وليكن لنا ولآبائنا واخوتنا ، لغفران الخطـايا ولمحو الآثام . إحفظ اللهم الاحياء ورش على الموتى طل رحمتك وحنانك وارحمهم في النعيم الابدي . فيصعد لك الاحياء والاموات المجد والشكر (١) . . .
الآن وكل أوان والى ابد الآبدين آمين .

---

(١) – قد ترجمنا هذه الصلاة عن مخطوط قديم عائد لمكتبة كنيسة الطاهرة في قرهقوش . والمخطوط يحتوي على عدة رتب لاعياد القديسين التي كانت تذكر اعيادهم في هذه الكورة . وقد جاء في ختام الكتاب ما نصه : « انتهى هذا الكتاب (السدرات) الخاصة بأعياد شـهداء الرب الاله . اعرفوا ايها الاخوة القارئون ان هذا الكتاب كتب لكنيسة والدة الله التي في قرية بيت خديدة (قرهقوش) وقد كتبه كل من كان يعرف الكتابة من الشمامسة وكل واحد يأخذ اجراً عن عمله (تعبه) في الملكوت السماوي . في سنة ١٨١٣ مسيحية الموافقة سنة ٢١٢٤ يونانية » .

بوشر بطبع الكتاب في ٩٦٥/٦/٢٠ وانتهى في ٩٦٥/٧/٩

سيرة الشهيد مار زينا

بقلم

سهيل قاشا